https://www.doi.org/10.31918/twejer. 2362.36

e-ISSN (2617-0752) p-ISSN (2617-0744)

أنواع الشخصية في روايات نوزت شمدين

أ. د . لطيف محمد حسن
جامعة كوية
Adeb6165@gmail.com

محمدأمين قادر حمه رش
تربية رانية

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على عنصر مهم من عناصر النص السردي،وهو(الشخصية) في الأعمال الروائية للكاتب الكوردي العراقي(نوزت شمدين)،في محاولة منّا لبيان أنماط الشخصيات، وكيفية استمدادها من واقع العراق في خضم الصراعات الفكرية، والاجتماعية، والسياسية،وخلال تقنيات السرد يستنطق هذهِ النماذج المتنوعة للشخصيات،ويبث خلالهم انطباعاته،وأفكاره تجاه الأحداث في واقع المجتمع العراقي في عصرنا الحاضر.

يتكون هذا البحث من تمهيد،وثلاثة مباحث، ففي التمهيد وضحّنا مفهوم الشخصية ونبذة عن حياة الكاتب،وفي المبحث الأول شرحنا الشخصية المتسلطة والشخصية الخاضعة، وفي المبحث الثاني كان الكلام على الشخصية الرمزية والشخصية المباشرة،أما المبحث الثالث فقد شرحنا فيه الشخصية الواقعية والشخصية الوهمية،وفي الختام ذكرنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية :الشخصية، المتسلطة، الخاضعة، الرمز، الوهم

أنواع الشخصية في روايات نوزت شمدين

المقدمة:

تعد الرواية من أكثر الفنون الأدبية التي تعكس حياة المجتمع الإنساني، لذلك توجهت أكثرية الدراسات التي تعمل في المجال الأدبي إلى الاهتمام بعناصر هذا الفن، وبما أنّ الشخصية من العناصر التي لايمكن الاستغناء عنها، فإنّ الدراسات التي اهتمت بهذا العنصر أخذت حيزاً واسعاً ونالت حصة كبيرة من اهتمام الباحثين والنقاد.

وسبب اختيارعنصر الشخصية يعود إلى رغبة الباحث في معرفة المزيد عن هذا العنصر، وانعكاس تفاصيل الحياة فيه على جميع الأصعدة

ويعدّ نوزت شمدين من الروائيين العراقيين البارزين،وتعدّ رواياته انعكاساً للمجتمع العراقي، لذلك اختار الباحث رواياته مجالاً لهذا البحث.

ونظراً لكثرة رواياته والشخصيات فيها، فقد اختار الباحث أحدث ثلاث روايات الكاتب(مستر نورگه، ديسفيرال،شظايافيروز) حدوداً لبحثه.

وأثناء كتابة البحث، واجه الباحث عدة صعوبات من أهمها: كثرة الشخصيات مما دفع الباحث إلى اختيار النماذج فقط، وكذلك صعوبة تقسيم الشخصيات لأنّ الباحث لم يرغب تقسيمها وفق التقسيمات الشائعة كالشخصية الرئيسة والثانوية، والنامية والجاهزة... بل أراد تقسيم الشخصيات وفق طبيعتها داخل الروايات المدروسة.

التمهيد: مفهوم الشخصية ، نبذة عن نوزت شمدين

أولاً: مفهوم الشخصية

عرّفت الشخصية بتعاريف متنوعة وعديدة حسب المذاهب والاتجاهات الأدبية،والفلسفية،والاجتماعية ،وغيرها، ولكن بما أنّ البحث يتناول الشخصية الروائية لذلك نرّكز فقط عن التعاريف النقدية للشخصية، فقد ورد في المعاجم النقدية تعريفات كثيرة للشخصية،منها أنّ الشخصية هي ((أحد الأفراد الخياليين أو

الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية)) (وهبة و المهندس، ١٩٨٤، صفحة ٢٠٨)، ويعرفها جيرالد برنس بأنّها ((كائن له سمات إنسانية ومنخرط في الأفعال الإنسانية (ممثل) له صفات إنسانية)) (برنس، ٢٠٠٣، صفحة ٣٠). مِن خلال التعاريف السابقة يظهر أنّ الشخصية هي كلّ فرد أو كائن له سمات إنسانية تمييزه عن الآخرين. وقد قيل في أهمية الشخصية أنّ ((الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذهِ المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياهُ، إذ لايسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلةً عن محيطها الحيوي، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، وإلّا كانت مجرد دعاية، وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معاً)) (هلال، ١٩٩٧، صفحة ٥٢٦).بينما ذكر الدكتور مرتاض أنّ ((هذا العالم الذي تتمحور حولهُ كُلّ الوظائف والهواجس والعواطف والميول، فالشخصية هي مصدر إفراز الشّر في السلوك الدرامي داخل عملٍ قصصي ما، فهي بهذا المفهوم فعل أو الحدث، وهي في الوقت ذاته، تتعرض لإفراز هذا الشّر أوذاك الخير، وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع . ثمّ إنّها هي التي تسرد لغيرها، أو يقعُ عليها سرد غيرها، وهي بهذا المفهوم أداة وصف، أي أداة للسرد والعرض)) (مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ١٩٩٠، صفحة ٦٥)، مِن خلال هذا التعريف يظهر أنّ الشخصية تقوم في العمل القصصي بمجوعة مِن الأدوار المتنوعة المختلفة وتجتمع فيه كلّ العواطف والميول. أو هي ((كائنٌ خيالي، تبنى مِن خلال جملٍ تتلفّظ بها هي، أو يتلّفظ بها عنها)) (بوعزة، ٢٠١٠، صفحة ٤٠)،إذاً هي كائن يبنى ويتحرّك في فضاء إبداعي بين الواقع والخيال.

وتشكل الشخصية عنصراً مِن العناصر التي لايمكن الاستغناء عنها في أي عَملٍ قصصي وهذا ما أكده النقاد، فهذا(حسن البحراوي) يقول: ((لقد أصبح مِن نافلة القول أن يتضمّن كلّ مقامٍ حكائي شخصية واحدة على الأقل، فالقصة لكي تروى، تكون بحاجة إلى شخصية موضوعة في زمان ومكان خاصين بها)) (بحراوي، ١٩٩٠، صفحة ٢٢٣)، وهذا (ميشال بوتور) يقول: ((إنّ أبسط الحوادث في الرواية تفترض وجود ثلاثة أشخاص: المؤلف، والقاريء ، والبطل)) (بوتور، ١٩٨٢، صفحة ١٠٤).والشخصية تتمتع بطبيعة

إشكالية، فلم تحصل على اتفاق تام بين النقاد والدارسين في معظم قضاياها (طبيعتها، أهميتها، ودورها،...)، وهذا ما أدى إلى صعوبة وجود تعريف أدبي موحّد لهذا العنصر.

ثانياً: نبذة عن نوزت شمدين

نوزت سالم خليل شمدين آغا، صحفي وروائي كردي عراقي، يكتب باسم نوزت شمدين، ولد في الموصل سنة ١٩٧٣، وحصل على شهادة البكالوريوس في القانون من كلية الحدباء، وعمل في نطاق المحاماة ثمان سنوات، اتجه بعدها إلى الصحافة، كتب الشعر في فترة من الفترات، ثم اتجه إلى كتابة القصة القصيرة، ثم إلى كتابة الرواية(شمدين، ٢٠١٧، صفحة ٢٨١)، وعن تأثير هذهِ التجارب في تكوينه الثقافي، يقول شمدين((الشعر أعانني على اقتناص الصوروالتقاطها من المخيلة أوالواقع، أمّا القصة فقد ساعدتني على تكثيف العبارات، والصحافة على الدقة في اختيار المفردات، تضاف إلى ذلك تجربة عملي لنحو ثماني سنوات في نطاق المحاماة، هذا الثالوث(الأدب، الصحافة، القانون) وضع عالماً بين يديّ، بل كوناً بأسره)) (النعيمي، ٢٠٢٢)، غادر العراق نرويج في ٢٠١٤، ويسكن الآن في نرويج، له مجموعة من المؤلفات، منها خمس روايات(نصف قمر٢٠٠٢، سقوط سرداب ٢٠١٥،شظايا فيروز٢٠١٧، ديسفيرال ٢٠١٩، مستر نورگه٢٠٢١)

أنواع الشخصية

على الرغم مِن اعتماد غالبية الدراسات على الأنواع المعروفة للشخصية كالشخصية الرئيسة والثانوية، أوالشخصية النامية والجاهزة... إلّا أنّ هذا لايعني أنّه ليس هناك أنواع أخرى، لأنّ الشخصية تتميز بالتنوع والاختلاف،وليس لأنواعها حدود معينة حيث ((تتعدّدُ الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والايدولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها مِن حدود)) (مرتاض، ١٩٩٨، صفحة ٧٣).

بناءً على هذا ونظراً للابتعاد عن التقليد والتكرار، فقد حاول الباحث أن يبتعد قدر الإمكان عن التقسيمات المعروفة، وحاول تقسيم الشخصيات الموجودة في

الروايات المدروسة إلى أنواع أخرى تتوافق مع طبيعة الروايات والشخصيات الموجودة فيها.

المبحث الأول

الشخصية المتسلطة والشخصية الخاضعة

المحور الأول: الشخصية المتسلطة

يسمي حسن البحرواي الشخصية المتسلطة بالشخصية المرهوبة الجانب، وهي الشخصية ((التي تتصرّف مِن موقع قوةٍ ما، وتعطي لنفسها حقّ التدخل في تقرير مصير الفرد أو الأفراد الذين تطالعهم سلطتها)) (بحراوي، ١٩٩٠، صفحة ٢٧٩)، فهذهِ الشخصية تحاول فرض سلطتها على الآخرين، سواءً أكانت سلطتها آتية من سلطة عائلية، أو دينية، أو سياسية، أو اجتماعية.

من الشخصيات المتسلطة في الروايات التي ندرسها، شخصية(غانم القصاب) في رواية(مسترنورگه)، وهو أحد الشخصيات الثانوية في الرواية،حالته الاجتماعية شكّلت مفارقة مع إسمه، لأنّه غالباً ماكان يخفق في التجارة، جاء على لسان السارد ((فقد بعدها بثلاثةِ أسابيع وخمسة أيام، مايملكهُ مِن المال كان قد أودعهُ في صفقةٍ اشترى بموجبها قطيعاً مِن الخراف للتسمين في غربي البلاد، أباده مرض الطاعون حتى آخر نتفة صوف)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٦)

سلطة هذا الشخص كانت سلطة منزلية وعلى أفراد عائلته، وليست سلطة سياسية أو دينية، وكانت سلطته سلطة قاسية جداً مليئة بالتعذيب الجسدي والنفسي تجاه إبنه نافع(نورگه)، وزوجته محاسن، فبعد تعرض(غانم القصاب) للخسارة((قضى فترة حدادهِ الطويلة على الأموال البائدة، يفرغ فيهما غضبه ويتفنّن بإيقاع العقوبات الجسدية والنفسية عليهما)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٢٦).

بالنسبة لنافع (نورگه) بدأ غانم القصاب بفرض سلطته وإنزال العقوبات عليه منذ الطفولة، بمنعهِ مِن الخروج مِن البيت، وتحوّل بيتهم إلى السجن ((كان قد بلغَ منذ أشهر عامهُ الثامن، والعطلة الصيفية المدرسية تلفظُ أنفاسها الأخيرة، قضاها كلّها محبوساً في البيت، وممنوعاً مِن الصعود إلى السطح أو ارتقاء الجدران

المطلة على الشارع بقرار مِن والدهِ غانم القصاب، كعقوبة إثبات هيبة منزلية)) (شمدين ، ٢٠٢١، صفحة ٢٣)، ولم يتمكّن مِن الاستمتاع بمرحلة الطفولة، لأنّه ((ظل احتكاكه بالعالم خارج سور البيت رهناً بثقبٍ دائري صغير في الباب الخارجي المعدني المطلي بالأزرق، راقب مِن خلاله، أثناء ساعتي قيلولة الأب الظهرية اليومية أو فترة غيابه الصباحية عن المنزل، صبية الحي المنخرطين في ألعاب دحرجة الإطارات و(ألصكلة ولاك) و(الجعاب))) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤).

ويبدو أنّ غانم القصاب كان يعاني من اضطراب نفسي، فكان يضرب ابنه سواء اقترف ذنباً أو لم يقترف، وكأنّه يريد أنّ يثبت سلطته المنزلية للآخرين لأنّه قام بضرب ابنه أمام مرأى أصدقائه وساكني الحي مرتين، في المرة الأولى عندما حاول كسر الحاجز أثناء نوم أبيه ((وكان قد جرّب قبلها حظه العاثرفي كسر قرار حجزه، بتسللهِ إلى الشارع ظهيرة أن سمع صوت شخير أبيه متعدد النغمات، لكنّه وقبل أن يتّمكّنَ مِن إيجاد موقع شاغر لنفسهِ ضمن واحدة مِن المجاميع الصاخبة التي اكتظّ بها الشارع اصطادتهُ الخيزرانة الغاضبة وظلّت تنهالُ على بدنهِ المتدحرج وسط هتاف الصبية، إلى أن حجزته أمهُ عنها بجسدهِا في المطبخ فتم إلحاق عقوبة عزلة، بغلق الباب الخارجي بمفتاح، استقرعادةً في جيب سترة الأبِ المحرمِ لمسها)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤)، وفي المرة الثانية عندما ساعده شقيقته (واجدة) في الخروج إلى الشارع، بعد مغادرة أبيهما البيت((سأضعُ الكرسي قرب الجدار ليسهل عليك تسلّقه، ستلعبُ نصف ساعة فقط كما وعدتني يانافع، نصف ساعة فقط لا أكثر... غير أنّ جوعهُ لألعاب الشارع أنساه وعدهُ لواجدة، وظلّ يرفرف بجناح الحرية مطارداً ذهاباً وإياباً إطار عجلة دراجة هوائية بقضيب معدني، حتّى سدت عليه خيزرانة الأب الطريق ذات جولة. وأقيمت حفلةُ معاقبتهِ في المكانِ نفسهِ الذي قبض عليه فيه ملتبساً بجرم الخروج عن الطاعة الأبوية)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٥).

ومن خلال عقوباته يبدو أنّ غانم القصاب يستمتع بتعذيب ابنه، وكأنّه ضابط في العسكرية يقوم بفرض العقوبة على الجنود المخالفين، أو كأنّه يتعاملُ مع شخصٍ تسبب في خسارة تجارته ويحاول أخذ ثأره منه، وليس طفلٍ صغير لايقوم بأيّة ردّة فعل سوى الصمت والسكوت((اتّخذ جسده الوضعية الصنمية التي كان

يفرضها عليه أبوه عندما يجبره على الوقوف حافياً على الأرضية الكونكريتية الحارقة لسطح المنزل، الذراعان إلى الجانبين، الصدر إلى الأمام، والوجه مرفوع باتجاه قرص شمس الظهيرة، والعينان مفتوحتانِ على وسعهما، ومع كلِّ رمشة عين لا إرادية يتلقّى ضربة خيزران، كجزء مِن طقوسِ عقابهِ)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٣٤).

ولم يكن حال محاسن زوجة (غانم القصاب) أفضل من إبنها نافع، فقد تجرّعت مرارة الحياة على يد زوجها، وتلقتْ أقسى العقوبات على يده لفرض سلطته عليها، فقد صحت الفكرة التي تقول أنّ من الرجال من يميل إلى الاستهانة بالمرأة واضطهادها، ويحرص على عدم الاهتمام بالآلام، والمعاناة، وأمورالمرأة، ويتصرف معها تصرفات غير مقبولة، وفي بعض الأحيان يظهر الرجلُ وكأنّه يخفي في نفسه عداءً فطرياً تجاهها. (ياسين، ٢٠١٠، صفحة ١٨٨).

فمنذ زواجها القسري بهذا الرجل الذي هو أكبر منها بثلاثٍ وثلاثين سنة توالت عليها العقوبات الجسدية والنفسية، ولم يتعامل معها على أساسٍ إنساني، فقد ذكر السارد في هذهِ الفقرة مجموعة مِن العقوبات التي تلّقتها هذهِ المرأة على يد زوجها((قضت أشهر زواجها الأولى تائهةً بين تناقضات ماتبقّى حيّاً مِن أحلامها وقوانين زوجها المتقلب المزاج وعقوباته على أتفه شيءٍ تقوم به؛ إذ كان يرغمها على تناول كلّ مافي الطبقةِ إن وجد الطعام غير متوافقٍ مع ذائقتهِ. وحدث أن انتظرها في الحمام حتى أكملت إفراغ ما أكلتهُ مِن جوفها ثم فرض عليها البقاء محبوسةً هناك حتى الصباح اليوم التالي، عقوبةً على تقيؤها. وجعلها أكثر مِن مرة تجلسُ في حرّ ظهيرة الصيف اللاهب على سلالم السطح لأنّها أيقظته مِن قيلولتهِ المقدّسة خلال أدائها لواجباتها المنزلية غير المنتهية، وأن تلتقط بيديها المجردتينِ شظايا زجاجة الفانوس الذي أسقطتهُ بلا عمد، وأدميت أصابعها...)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٠)، وفي هذهِ الذكرى التي ذكرتها محاسن لإبنتها واجدة((في إحدى المرات وكنتِ في شهركِ العاشر أقفل علينا باب غرفتي بالمفتاح وأبقانا محبوستينِ يوماً كاملاً لأنّكِ منعته من النوم ببكائكِ)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٢).

وربما خاف غانم القصاب من تكرار سيرة أبيه، حيث كان خاضعاً لزوجته التي أجبرته على القيام بأفعال غير الإنسانية وأبشعها قتل النساء، والأطفال ثمّ أكلِ لحومهم وبيعه في السوق، لذلك لم يكتف بالعقوبات الجسدية، بل أضاف العقوبات النفسية إلى قائمة تعذيبات زوجته ((قال بنبرته العدائية المعتادة: لن تجد أنتِ وإبنكِ الحرام هذا يوم راحةٍ طالما بقيت فيّ روح. ألقى نظرة ملؤها الاحتقار على وجه الوليد، ورعد صوته: وجب على القابلة البومة أن تذهب للبصرة وتبشر عشيق أمكِ القحبة بولادتك)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٣)، ويقول بعدها((إبنك، إبن حرام وليس مِن صلبي وجب عليّ دفنكما معاً منذ وقتٍ طويل أيتها الـ...)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٧).

وبما أنّ عائلة غانم القصاب عائلة منعزلة منغلقة بسبب تسلط هذهِ الشخصية، فنرى محاسن تقول للقابلة(هناء) ((لايطرق بابنا أحد، ولا أعرف جيراننا. هل تصدقين ياخالة هناء أنت الوحيدة التي دخلتِ هذا المنزل مرة عند ولادة واجدة وهذهِ المرة بولادة... فكرت قليلاً وقالت: نافع)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٥).

ومن الجديربالذكر أن شخصية(غانم القصاب) على الرغم مِن إنزال تلك العقوبات على زوجته وإبنه، إلّا أنّه لم يتعامل مع إبنته(واجدة) هذهِ المعاملة القاسية ولم تتعرض (واجدة) لأي عقوبة باستثناء إخراجها مِن المدرسة مِن قبل أبيها حيث قال((مدرسة البنت بيتها)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٢٠).

وقد يكون سبب هذه القسوة لدى(غانم القصاب) هو الظروف العائلية العصيبة التي مرّ بها، عندما كان صغيراً، حيث أعدم والداه (عبود وخجاوة) بسبب قتل الناس، وبيع لحومهم في السوق أيام المجاعة العثمانية، وتربىّ غانم القصاب بعد ذلك في كنف عائلة أخرى، وقد ذكرت قصة(عبود وخجاوة) بعد وفاة(غانم القصاب) على لسان صديقه (الحاج منذر) الذي هو ابن العائلة التي تربى فيها(غانم القصاب) بعد إعدام والديه.

ومن الشخصيات المتسلطة شخصية(الحاجة غنية) وهي إحدى الشخصيات الثانوية في رواية(ديسفيرال)، فقد وافقت حالها مع إسمها، لأنّها كانت تملك المجوهرات والذهب والحلي الثمينة، باع زوجها الحاج مجيد بعضها حين تعرض

للديون بسبب القحط ((بالكاد استطاع خلالها تأمين متطلبات الحياة اليومية بمساعدة الحاجة غنية التي قدّمت مصوغاتها الذهبية والفضية بطقوسِ حزنٍ احتفالية قطعة قطعة باعها لشراء الطعام والوقود وتسديد شيء مِن ديونه. في كلّ مرةٍ أخرجت فيها ليرة عثمانية أو خلخالاً أو قلادةً أو أسورة أو أقراطاً مِن كيس القماش المحفوظ مِن برطمانها الكريستالي داخل صندوق ثيابها الخشبي المطعّم بالنحاس. رفعت ذراعيها ودارت حول نفسها وسط حلقةٍ شكّلتها بناتها قائلةً بفخر: ايّة واحدة غيري ماكانت لتفعل هذا. لكن إبنة الأصول يظهر معدنها وقت الشدّة)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٣).

ظهرت سلطة هذهِ الشخصية عندما نجحت في إفساد محاولة زوجها لزواج ثانٍ((ومحاولات الحاج مجيد الكثيرة لتعزيز ذريتهِ بابنٍ آخر عبر زواجٍ ثانٍ أحبطت بثورات منزلية عارمة أشعلتها الحاجة غنية لتحافظ على سلطة مطلقة لم ينزع منها شيء سوى الخِرف، لكن بعد سنواتٍ طويلة)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٢).

وظهرت سلطتها مرة أخرى عندما تزوج ابنها (سليم) بابنة عمه (زاهدة) فنراها تشرع لهما وخاصة لزاهدة قوانينها الصارمة كما يبدو في هذهِ الفقرة((كان سليم ممسكاً بيد زاهدة وهما جالسان على الأرض ينتظران سماع شروط أمّهِ غير قابلة للنقاش تدعيماً لسلطتها المنزلية المهددة. ستقومين بالواجبات اليومية مِن كنسٍ وشطفٍ للأرضيات وغسل للثياب وإعداد الطعام بموجب مواعيد أحدّدها أنا. حرّكت زاهدة رأسها موافقة وسليم يشدُّ على يدها. اشارت إليها الحاج غنية بإصبعها دون أن تنظر إليها: تزورين أمك الشمس في العيدين الصغير والكبيرفقط ولا أحد مِن ذريتنا يدخل منزلها الآن ومستقبلاً... ليكن في معلوم الجميع بيتي لن يستقبل زياراتٍ مِن القرية أبداً)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٣٠). يكشف النص أن الحاجة غنية تعدت على حرية الآخرين وبوجود زوجها الحاج مجيد من أجل بقاء سلطتها، حيث فرضت قوانين جائرة، فنراها تسمح لزاهدة فقط بزيارة أمها،مرتين في السنة، ولاتسمح لأحد غيرها بأن تزور أم زاهدة،حتى صهرها.

وشملتْ سلطة الحاجة غنية كلّ شيء في منزل الحاج مجيد حتى تسمية الأطفال فنراها عند ولادة الإبن الأول لسليم وزاهدة تقول((نسميه جابر على إسم

والدي أراحهُ الله في تربتهِ)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٠)، وكذلك عند ولادة ابنهما الثاني ((إيثار... على إسم جدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاتهِ)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٢١).

ومِن الشخصيات المتسلطة أيضاً شخصية (وضّاح) في رواية (شظايا فيروز)، ولكن سلطة هذهِ الشخصية مختلفة عن سلطة الشخصيتين السابقتين، لأنّها سلطة سياسية وليست عائلية((إشاعات انتماء وضّاح لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وإعتقالهِ مرات عدة مِن قبل الأمن الكوردي ثمّ القوات الأمريكية قبل جلائها، إضافةٍ إلى جسدهِ الضّخم ورأسه الأصلع الكبير بوجهٍ أخفت اللحية معظم ملامحه، كلّ ذلك منحهُ مساحة مِن الرهبة في نفوس إخوتهِ قبل أهالي قرية أم نهود، وحاول تعزيزها باستعراضات مماثلة للقوة، مستفيداً مِن إقعاد المرض لأبيه الشيخ حامد...)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ٢٧)، فكان هذا بداية ظهور سلطة هذهِ الشخصية، وترسّخت هذهِ السلطة تماماً بعد ظهور الدولة الإسلامية(داعش) وسيطرته على محافظة نينوى، وأصبح (وضّاح) يكُنّى بأبي حفص، وحصلَ على سلطة كبيرة واسعة في دولة داعش وقام بتنفيذ قوانين دولة داعش على سكان المنطقة التي كانت بين يديه ((فرض وضّاح أبو حفص تعليمات الدولة الإسلامية بحذافيرها على سكان قرى جنوبي الجبل التي أصبح مديرها ومتحكماً بمصير أبنائها)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٢).

ومن أجل فرض سلطته قام أبو حفص بإصدار مجموعة من الأوامر والقوانين، منها حظر التجوال على النساء إلّا في حالات ضرورية وإجبارهم على إرتداء ملابس محددة ((فمنع النسوة مِن الخروج إلّا في حالات الضرورة القصوى وبرفقة محرم،منقبات وفي ايدهن الكفوف مرتديات ثياباً طويلة فضفاضة غير ملوّنة)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٢)، ومنع الرجال من حلق اللحية والرأس((وأجبر الرجال على إطلاق اللحى وتقصير الشوارب والتوقف عن حلاقة الرأس)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٢)، ومنها تحديد موقع لتنفيذ العقوبات((جعل مدخل القرية حيث الصخرتان لتنفيذ العقوبات المفروضة على الأهالي ضمن سلطته، بدأها بجلد شقيقه عاثر الحظ همام سبعين جلدة، بعد أن ضُبط ملتبساً بتدخين سيكارة في مدجن مراد،ونفذ الحكم بنفسهِ أمامَ أنظار الأهالي لتنتشر سيرة عدله بين القرى)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٢)،وبعد مدة منع

الناس ضمن سلطته من استخدام مجموعة من الآلات((وبعد شهرين منع استخدام وحمل الهواتف المحمولة... وأضاف قنوات البث الفضائي إلى قائمة المحرمات الطويلة لأنّها مروجة للرذيلة وأفكار الكفار)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٢،١٥٣)، وفرض عقوبات على مجموعة شخصيات((فأوقف الملا حسن والملا دحام عن أداء أي خدمات اجتماعية غير مرخصة منه شخصياً، ومنعهما منعاً باتاً من صعود المنابر والصلاة بالناس...ووضع عمّه عواد وإبنه هشام تحت الإقامة الجبرية، وقصر مغادرتهما للمنزل على أداء الصلوات الخمس في المسجد؛ لعدم ثبوت رسوخ الإيمان بدولة الإسلام في قلبيهما)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٣)، وقام بتغير إسم قريته((وأصدر قراراً بتغيير اسم قرية(أم نهود) إلى (أم فهود))) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٣)، وكذلك سمح لعمه عبود(أبو رواحة) لزيارة قريته بعدما كان ممنوعاً من دخولها ((وإمعاناً في انتقامه رحب بطلب معلق لعمه أبو رواحة لزيارة القرية بعد حظر دام عقوداً، ودعا الأهالي لاستقباله بحفاوة، كاسراً بذلك وصية أبيه الشفهية)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١٥٤).

من خلال الأسطر السابقة يتبين لنا أنّ (وضاح) من أجل فرض سلطته قام بكل شيء حتى أنّه لم يحترم قرار أبيه.

المحورالثاني: الشخصية الخاضعة

في مقابل الشخصيات المتسلطةهناك شخصيات خاضعة في روايات نوزت شمدين، أولى هذهِ الشخصية هي شخصية(محاسن) في رواية (مستر نورگه) التي هي مِن الشخصيات الثانوية في الرواية،وتشكّل هذهِ الشخصية دلالة مطابقة مع إسمها إذ كانت محسنةً مع زوجها عند مرضه على الرغم مِن أنّها لم تلق سوى الإهانة والعذاب على يده((غير أنّها حين انفردت به في غرفته وقد صار مثل قطعة قماش مطواعة بين يديها، تبدّدت أخيلة القتل تلك مِن رأسها وتحوّلت رغبة الانتقام المعتقة في داخلها إلى تعاطف...إذ انشغلت طوال ساعات الليل بمتابعة مواعيد إعطائهِ الأدوية وتدليك أطرافه وتجفيف المستنقعات التي تحدثها مثانته الخارجة عن الخدمة وخفض حرارته المرتفعة بالكمادات وتقليبه مرة واحدة كل ساعتين لمنع تقرع جلده، وزقه بملاعق صغيرة مِن حسائي الدجاج والرز والماء الفاتر، لكي لاتتجمّد الدماء في عروقه)) (شمدين ، ٢٠٢١، صفحة ١١٤،١١٥)،

بل وأكثر مِن هذا سامحت الشخصيتين اللتين كانتا سبباً في معاناتها وشقائها وقسوة حياتها؛ زوجة أبيه التي زوجتها برجلٍ أكبر منها بثلاثٍ وثلاثين سنة بدون أخذ موافقتها، وزوجها غانم القصاب الذي لم يتوان ولم يتعب في معاقبتها نفسياً وجسدياً، فنراها تذكر لواجدة أنّها سامحت زوجة أبيها قبل موتها بلحظات، وسامحت زوجها(غانم القصاب) عندما كانت معه في المستشفى ((امتلأت عيناها بالدموع وهي تنظر إلى السقف: لقد سامحتها، قلت لها ذلك في أذنها قبل لحظات من موتها، وقلته أيضاً لأبيكِ ونحن في المستشفى)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٤،٢٤٥).

ولكن على الرغم من طيبتها وتسامحها كانت خاضعة لأوامر وقرارات زوجها الظالم وهذا ما أكدّه الراوي العليم في هذا النص((... واستوعبت مثل طالبة مجدة أنّ جلوسها ممنوع حين يكون هو واقفاً، وأنْ تنصت حين يتكلّم، وأن تنام ليلاً بعده وتصحو قبله صباحاً وتظل ساكنة مثل شجرة، عندما يضع رأسه الأصلع على المخدة، وأن تبقى معدتها فارغة استعداداً لما سيقرره فمه، وتقف على رجليها في حالة استنفار دائم استعداداً لتنفيذ أوامره)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٠). فبدل وقوفها في وجه زوجها على هذهِ القرارات الظالم اختارت الخضوع واستوعبت الأوامر الظالمة.

ومما يدلّ على خضوعها أنّها صبرت على العقوبات الجسدية والنفسية التي تعرضت لها من قبل زوجها، ولم تتركها، ولم تقم بمخالفته سوى مرتين، الأولى لم تكن دفاعاً عن نفسها بل كانت دفاعاً عن إبنتهما(واجدة)((وبعدها بأشهر تجرأتُ وصرختُ بوجهه هل تصدقين؟ فعلتُ ذلك بلا وعي حين دفع مهدكِ الذي مال إلى الجانب بقوة، وكاد أن يسقط بك لولا أنّني أمسكتُ به تلك كانت المرة الأولى التي أعترضت فيها عليه بل وأبدي رفضاً إزاء أي شيء)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٥٢)، والثانية عند ولادة نافع(نورگه) واتهامها بشرفها((سينتقم الله منك يا ظالم. يا مجنون، أنت مجنون ويجب حبسك في الشماعية)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٥٤).

فيما عدا ذلك اختارت الخضوع والسكوت أمام كل ما يقوم به زوجها.

وفي نفس الرواية هناك شخصية خاضعة أخرى وهي شخصية (نافع) الشخصية الرئيسة الوحيدة في الرواية، حيث لم يقف في مرة مِن المرات الكثيرة

التي تعرض فيها للعذاب والعقوبات ضد أبيه بل اختار الصمت والسكوت والصمود حتى وقت تعرضه للضرب بالخيزران لم يصدر أنيناً وشكوى، كما يسرد الراوي إعجاب(واجدة) وهي شقيقة (نافع) بهذهِ الصفات لشقيقه ((مثلما أحبت وقوفه كصخرة عنيدة أمام غضب أبيهما وعدم اكتراثه بالخطوط متغيرة الألوان التي كانت تتركها الخيزرانة على جلدهِ)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٣٥).

ويعدّ (عبود) الشخصية الخاضعة الثالثة في الرواية نفسها، خضوع هذا الشخص كان لزوجته(خجاوة)، حيث أجبرته خجاوة في زمن المجاعة العثمانية على قتل عجوز أرمنية من أجل طبخها، ولم يقم باعتراض على قرار زوجته، بل نفذه بدون نقاش((... استبشرت العجوز لرؤية النار والدخان المتصاعد وكان هذا آخر شيء رأته لأنّ عبوداً ضربها بقضيب حديدي على رأسها من الخلف، فانكبت على وجهها جثة هامدة)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٦٤).

ولم يبدِ عبود أي اعتراضٍ على الأفكار الشيطانية لزوجته، بل رضخ وخضع لقراراتها، فحتى حينما أرادت تجربة أكل لحم الأطفال خضع عبود لإرادتها((رجعت خجاوة إلى البيت بفكرة زرعها إبليس اللعين في رأسها وهي أن يجربوا طفلاً لأنّ بني البشر لا يختلفون عن القطط والكلاب وغيرها من الدواب، لحم الصغير طريٌ ولين ويهضم بيسر... أيدها عبود بلا تفكير)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٦٦).

ولم يتوقف الأمر على هذا الحد فقد تحوّل أكل لحوم البشر إلى التجارة عندهم بأمر من خجاوة، فقام عبود ببيع القلية بطلب من زوجته. ويبدو أنّ عبود لم يدافع عن نفسه حينما ألقي القبض عليهما، بل اختار الخضوع،أمام تهم زوجته حين اتهمته بأنه هو من أجبرته على فعل هذهِ الأعمال المشينة، حيث لم يذكر الراوي ردّ فعله أمام هذهِ التهم، ودفع عبود في النهاية ثمن هذا الخضوع حيث أعدم على أفعاله البشعة.

ومن الشخصيات الخاضعة شخصية (فيروز) في رواية (شظايا فيروز)، وهي إحدى الشخصيات الرئيسة الثلاث في الرواية، خضوع هذهِ الشخصية لم تكن لشخصية معينة، بل كانت لسلطة داعش، فحين وقعتْ القرية التي كانت تعيش فيها تحت سيطرة داعش، وقعت أسيرة بيد داعش مع شقيقتيها الصغيرتين(كولي

ونعام)، وعمتها(نديمة)، فمنذ وقوعها بأيدي الدواعش، ونقلها مع الأخريات إلى مدينة تلعفر وحجزهن في مدرسة في هذهِ المدينة، لم تقم بأي ردة فعلٍ مثل باقي الإيزيديات، فحين وقفت شيرين التي سيأتي ذكرها في مبحثٍ آخرفي وجه الدواعش الذين اتهموا الإيزيديين بالمشركين، وصرخت في وجوههم، لم تدافع فيروز بأي كلمة عن دينها بل سكتت واستسلمت، وحتى حينما كانت تعمل في المطبخ تحت أمر الحاجة رقية خضعت للأوامر كلها حتى التي تخالف دينها وعقيدتها كلمس الخس خوفاً من تعرضها لعقوبة وبيعها، كما فعلوا مع امرأة أخرى تسمى (منيعة)،تقول عن تلك المرحلة ((وأدركتُ أن الأخطاء الكبيرة كإتلاف الطعام وعدم إظهار الاحترام للأكبر منا مقاماً،سيؤدي إلى طردي من الخدمة وبيعي كما حدث لامرأة من سنجار تدعى منيعة رفضت غسل أوراق الخس)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ١١٠).

وبعد نقلهنّ من تلعفر إلى الموصل، وصدور قرار بيعهنّ ، لم تقم بأي محاولة لكي لاتكونَ سبية بأيدي الدواعش، على الرغم من قيام فتاة تدعى ليلى بالهرب، وحين طلبت من الإيزيديات ومن بينهن فيروز مرافقتها والهرب معها لم ترافقها إحداهن، وبعد كلام ليلى حينما قالت((قد لاتكون لدي فرصة كبيرة للنجاح. لكنني سأحاول لكي لايقولوا إنّ الإيزيديات راضيات بمصيرهن)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ٢٠٩)، تأثرت بكلامها وتحمست بعض الشيء للهرب معها، ولكنّها لم تكن تملك جرأة كافية، فرضيت بمصيرها، وباعوها فيما بعد وأصبحت سبية.

وخلال المدة التي قضتها في بيت أبو دجانة بعدما أصبحت سبية، تعرضت للعقوبة والضرب والإهانة من قبل زوجة أبو دجاجة، ولم تدافع عن نفسها بكلمة، فنراها تقرّ بجبنها وعدم جرأتها في الرد على هذه المرأة كما تقول عن زوجة أبو دجانة:((فركت قدميها ومالت برأسها نحوي: لديكم ليلة تسمونها سوداء تجتمعون فيها نساءً ورجالاً، أقرباء مع غرباء، فتطفئون المصابيح وتفعلون الفاحشة حتى ينبلج الصباح. همت شيرين بالرد لكنني منعتها وبقيت مستمرة في عملي. وعادت لتسألني والشر يقطر من لسانها: لاشك أنك فعلت ذلك مرات كثيرة. لم أجب بشيء. لففت قدميها بالمنشفة الزرقاء التي أكدت عليها مراراً)) (شمدين،٢٠١٧، صفحة ٢٢٩،٢٣٠).

عاشت فيروز حياة ذلٍ وخضوع تحت أوامرالدواعش، ولم تحاول أن تدافع عن نفسها وترفض الاوامر سوى مرتين فقط، الأولى عندما أمرتها زوجة ابو قعقاع بأن تدخل الحمام وتهيء نفسها لسيدها بعد بيعها للمرة الثانية، ودخول بيت أبو قعقاع بأيام، فقامت بمحاولة حرق نفسها((التفت خلفي فوجدت الفانوس حيث قالت أم قعقاع، هرعتُ إليه كأنّه بندقية خلاص، نزعت سداد خزانه المعدني وأخذت علبة الثقاب ثم خرجتُ إلى صالة البيت، وسكبت النفط على رأسي فسال على وجهي وثوبي. كنت أنا هذه المرة وليست شيرين، ألقيت بالفانوس صارخةً بأعلى صوتي، وأخرجتُ ويديّ ترتجفان عود ثقاب وضعته على طرف العلبة متهيئة لإشعاله)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ٢٤٢،٢٤٣)، وبعد فشل هذهِ المحاولة، وتعرضها للفلقة، واستلامها لــ(ابوقعقاع) أملاً في إعادة شقيقتها(كلي)، بعدما أخذها أبو قعقاع عندما كانت فيروز غائبة عن الوعي، وبعد نكوص أبي قعقاع عن وعده بإعادة(كلي) إليها، قامت بمحاولة ثانية وهي الهرب مع سبية أخرى اسمها(فريال)من بيت(أبوقعقاع) وبعد نجاح هذهِ المحاولة، قررت الرجوع إلى بيت(أبوالندبة) أملاً في أن يوفي أبو قعقاع يوماً ما بوعده، ويرجع إليها شقيقها((ثمّ أوصدت الباب والتفت راكضة بأقصى ما أمكنني من سرعة عائدة إلى منزل أبو الندبة)) (شمدين، ٢٠١٧، صفحة ٢٧٧).

ومن الجدير بالذكر أنّ خضوع (فيروز) كانت من أجل شيئين، الأول حفاظها على شرفها وبقائها طاهرة، والثاني حفاظها على عمتها وشقيقتيها (نعام وكلي)، ولكن في النهاية فقدت شرفها، وأحباء ها أيضاً.

ومما لاشك فيه أنّ مقابل كلّ شخصية متسلطة شخصية أخرى أو أكثر من الشخصيات الخاضعة، التي تنفذ أوامر من يمتلكون السلطة.

المبحث الثاني

الشخصية الرمزية والشخصية المباشرة[٧٣](الاعتيادية)

[١]- المقصود بالشخصية المباشرة هنا الشخصيات التي لاتحمل بعداً رمزياً، وقد فضلنا استخدام هذا المصطلح لأنّنا اعتمدنا في تقسيم الشخصيات على الثنائيات لهذا جئنا بكلمة(المباشرة) مقابل الشخصية الرمزية، كان بالإمكان أن نطلق على هذهِ الشخصيات

المحور الأول: الشخصية الرمزية

لاستخدام الرمز دواع مختلفة، منها قد يلجأ الكاتب إلى استخدام الرمز للتعبير عن الكوامن النفسية، والأفكار التي لا يستطيع عرضها مباشرة، لذلك يعتبر الرمز((تقنية مِن التقنيات التي يعبر مِن خلالها الكاتب بكل حرية، حتى يتمكّن مِن البوح، والإفصاحِ، والتعبير عن أحاسيس، ومشاعِر موجودة في داخله، لأنّ الرمز هو الفضاء الرحب الذي يفصح فيه الأديب عن مكامن نفسه)) (مزورع، ٢٠٢١، صفحة ٣٩).

وفي الروايات نوزت شمدين التي هي قيد البحث، نجد الرمز بكثرة في رواية(ديسفيرال)، على الرغم مِن أنّ هذهِ الرواية موضوعها الرئيس هومرض(ثلاسيميا) إلّا أنّنا نجد فيها ثلاث شخصيات رمزية، ففي الصفحات الأولى يروي لنا الراوي العليم الصراع بين شقيقين على لقب شيخ العشيرة، وهما(الحاج مجيد والشيخ عزام) كلّ منهما يحاول كسب هذا اللقب، لذلك يحاولان جمع الناس حولهما، ويظهر هذا حين تحدّث الراوي عن بيت الحاج مجيد في مدينة الموصل((اعتادت صالة الضيوف في المنزل على الزحام، واختنقت على الدّوام بالأقارب،والمعارف، ومعظمهم قرويون وفدوا إلى المدينة لملاحقة شؤونهم الرسمية خصّصت لمبيتهم غرف الطابق الثاني الأربع، ووضع أثاثها تحت خدمتهم، ومدّت لهم بسخاءٍ كبيرٍ وجبات الطعام اليومية الثلاث إبرازاً للجانب الكريم مِن شخصية الحاج مجيد لضمان كسب جولة وجاهة في صراعه المعلن مع شقيقه الأكبر عزام، بسبب خلاف على لقب الشيخ، بدأتْ جذوة صراعه [منذ ساعة وفاة والدهما الأولى][٧٤]. لذا كان المنزل فندقاً مفتوح الأبواب ليل نهار للمقيمين فيه، فضلاً عن ثلاث خادمات، وحارسين، وسائق، وموظفين يعملون على مدار الساعة في خدمة المسافرين، والجائعين،ومدمني ثرثرات المجالس)) (شمدين،٢٠١٩، صفحة ١٢).

(الشخصية الواقعية) ولكن تجنبنا التكرار لأنّنا وضعنا الشخصية الواقعية مقابل الشخصية الوهمية. وبما أنّ الرمز يحمل معنى غير مباشر لذلك الشخصية المباشرة تشمل الشخصية التأريخية والاعتيادية، والأجنبية...

[٧٤]- هكذا ورد في الرواية والصحيح(بعد الساعة الأولى من وفاة والدهما)

يرمز هذان الشقيقان في الرواية إلى الطائفتين(الشيعة والسنة) في العراق، وصراعهما على لقب الشيخ هو صراع هاتين الطائفتين على سيادة العراق بعد سقوط النظام الدكتاتوري السابق ((أنّ الراوي استخدم الأسماء، والأحداث بنحوٍ رمزي كما فعل مع الأم، فالصراع بين الشقيقين آل سعيد على زعامة القبيلة يبدو واضحاً أنّها إشارة إلى الطائفي الدائر في العراق منذ ٢٠٠٣))) (المفتي،٢٠١٩).

وقد يكون مكان إقامتهما المختلف في الرواية، أحدهما في الموصل ((كان الابن الوحيد لعائلة مجيد آل سعيد التي لم يخفف غناها وسكنها في مدينة الموصل مِن ارتباطها المغناطيسي بالقرية وتقاليدها)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١١)، والثاني في القرية ((ارتفع خلفها طابقا بناء المنزل الكونكريتي الوحيد في القرية والذي لم يكن سوى بيت عمه الشيخ عزام)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٨)، دليل على السيطرة الفعلية لكلتا الطائفتين على مناطق محددة في العراق.

وانقطاع الصلة بين هذين الشقيقين إشارة إلى انقطاع الصلة الفعلية بين هاتين الطائفتين منذ مدّة طويلة على الرغم من أنّهما شقيقان ويعيشان في بيت واحد وهو العراق،وهذا ما أكدته الحاجة غنية في الإجابة عن سؤال ابنها سليم ((صلة الرحم مقطوعة منذ زمن بعيد. الجميع يعرف هذا، ولن يسألك أحد عن شيء)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٢٠).

وحين لم يستطع أحدهما حكم البلاد بمفرده، واشتركا في حكم العراق نتج عن هذهِ الشراكة حكومات فاشلة على مدار أكثر من خمسة عشر عاماً، وهذا ما أكدّه الكاتب في إحدى حواراته الشيقة حول الرواية((وحين فرض الاحتلال نظاماً سياسياً اشترك فيه الخصمان ، نتجت عن ذلك حكومات متعاقبة تعاني من ذات المرض، وهذا مانجده في زواج سليم بابنة عمه زاهدة، فقد أنجبا طفلاً مريضاً سيظل بحاجة لما تبقى من عمره، إلى دماء الآخرين وأبر دواء لكي يعيش)) (يزن، ٢٠٢١).

وبما أنّ الرمز((قائم بطبيعته على التكثيف والإيحاء، والابتعاد عن المباشرة واختزال اللفظ، بحيث يجعل القاريء يتدخّل في فك دلالاته)) (الدعمي، ٢٠١٧، صفحة ٢٥)، فقد حصّر الكاتب وضع العراق وما يمرّ بهِ في شخصية رمزية

واحدة، وهي شخصية(جابر) حفيد الشخصيتين الرمزيتين السابقتين(الحاج مجيد والشيخ عزام).

جابر شخصية من الشخصيات الرئيسة الثلاث في الرواية، وجابر لم يكن جابراً لأي شيء بل كان مجبوراً على تحمل الآلام كلّ حياته، حيث ظهرعليه مرض ثلاسيميا منذ أن كان في شهره السادس، ولكنّ أهله ظنوا أنّه أصيب بمرض اليرقان أو الصفراء(أبوصفاربالعامية) ((عند بلوغ جابر شهره السادس اكتشفت زاهدة بأنّ البياض في عينيه يميل إلى الاصفرار. وشخّصت الحاجة غنية الحالة بعد نظرة فاحصة بأنّه أبوصفار)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٣٦).

فمنذ ذلك الحين وقبل عرضه على طبيب أصبح جابر كحقلٍ للتجارب جرّبوا عليه أدوية مختلفة كشطب خلف أذنيه، وكوي رؤوس أصابعهِ، و الأعشاب، والرقية الشرعية((قبل يومٍ واحد فقط مِن إتمام شهره السابع استنفد الوالدان والجدة الخيارات جميعها وآخرها رقية شرعية قرأ فيها الإمام شجاع، والطفل في حجرهِ آيات، وأحاديث، وأدعية امتدت لأربعين دقيقة متواصلة، وانتهت بتقيؤ جابر على جبته الزرقاء الجديدة حليباً بلون أصفر فاقع، فخرج مسرعاً وهو يتعوذ مِن الشيطان)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٤٠)، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلُّ على أنّ العراق الذي رمز إليه بشخصية (جابر) أصبح حقلاً كلُّ يزرع فيه بذور أفكاره مِن دون استشارة المختصين لهذا لم يتقدّم إلى الأمام وظلّ الجهل والتخلُّف مستمراً.

وبعد مراجعة الأطباء، ودخوله المستشفى شخّص الطبيب حالة جابربأنّه أصيب بالثلاسيميا((هذا لاينفعه أبداً. ابنك مريضٌ بداء الثلاسيميا، ويحتاج إلى التزود بالدم حالاً)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٤٩)، ولم يكن والداه يعرفان شيئاً عن هذا المرض، وهذا واضحٌ في الحوار الذي دار بينهما بعدما شرح الطبيب الحالة لسليم والد جابر

((سألتهُ وأنا أرتعش: ماذا يعني ثلاسيميا؟

أخذ نفساً عميقاً ووضع يده على جبهته:

مرض وراثي والمصاب بهِ يحتاج إلى تزود مستمر بالدم. في الأقل مرة واحدة في الشهر.

كيف يعني مستمر؟

ضربتني أحرف كلماته كالمطارق: يعني مدى الحياة.)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٥٠).

وهنا الشبه بين هذا الطفل المريض الذي لايستطيع العيش بدون دماء الآخرين، وبين العراق الذي يعيش على إنتاج الدول الأخرى، ولايستطيع تدبير شؤونه بمفرده.

وبعد التأكيد مِن الطبيب لوالد(جابر) أنّه أصيب بالثلاسيميا،رجع(سليم) والد(جابر) إلى جهله، وتخلّفهِ، وعاد جسد(جابر) إلى حقل التجارب مرة أخرى ((أنفق سليم شهرين آخرين مِن العناد. جرّب خلالهما أنواعاً مختلفة مِن الأعشاب بناءً على خبرات معارفه في الجامع، ونصائح تبرّع بها لوجه الله مصلون عابروا سبيل سمعوا بمرض إبنه. وجد قسماً منها في سوق العطارين بالمدينة، واضطرّ للسفر إلى أماكن بعيدة لجلب القسم الآخر. لكن تلك الوصفات جميعها لم تمنح الصغير جابر ساعة هدنة واحدة مِن وجعه)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٥٦)، وهذهِ إشارة واضحة على الجهل وعدم ثقة المواطنين بالمنشآت الصحية في العراق.

والغريب في هذهِ الشخصية هو أنّه بحلول دم المتبرع في جسدهِ ينتقل ذكريات ذاك المتبرع، ومعلوماته إلى جابر، وهذا ما أفشى به جابر في قوله ((احتجتُ لزمنٍ طويل كي أفهم بأنّ نوبات الألم التي تضرب رأسي، وبطني، وعظامي بعد انتهاء نقل الدم أو خلالها. وتلك السخونة التي تبدأ مِن أذنيّ وتمتّدُ لوجهي، ثمّ تنسكب على جسدي كلّه ليست مجرد حساسية بسبب عدم فلترة الدم، وفصل أجزائه كما قال الأطباء. بل كان أمراً يشبه حلول شيء مِن روح المتبّرع في جسدي، فأرى بعد زوال الألم جانباً مِن حياتهِ، وتجاربه،أحلامه، أفراحه، وأحزانه، لكنّني لم أكن أستطيعُ وأنا بتلك السن الصغيرة شرح ذلك بالكلمات.

وعندما كبرتُ صار هذا متعتي الوحيدة، وسراً لم أفشهِ سوى لشخصٍ واحد لم يمكث في عالم الأحياء طويلاً)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٦٩،٧٠).

فمرة يظهر كشخصٍ له معلومات دينية كثيرة على الرغم مِن كونه طفلاً((قلت والكلمات تخرج مِن فمي دون أن أعرف ماتعنيه: أجزاء القرآن ثلاثون وسوره ١١٤، وعدد أحزابه ٦٠، وآياته ٦٣٤٨بما في ذلك البسملات التي تعد آيات وعددها ١١٣. أطول سورة هي البقرة، وأقصرها الكوثر. آية الدين هي الأطول في سورة البقرة والتي بدورها الأكثر طولاً من كل السور. وأقصر آية هي ألم. وذكر اسم الله ٢٦٩٧مرة)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٧٠).

ومرة أخرى يظهر كشخصٍ له معلومات تأريخية ((في المرة الثانية، كنا نمرُّ مشياً على الأقدام فوق جسر المدينة الحديدي القديم، ذكرت بلا وعي بأنّ ملكاً اسمه غازي افتتح الجسرسنة ١٩٣٤. وقد استغرق بناؤه ثلاث سنوات، وصبّ حديده الذي يشبه قفصاً كبيراً في بريطانيا، وشحن بالباخرة، ووصل إلى هنا عبر ميناء طرطوس السوري)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٧١).

ويظهر في المرة الثالثة على كشخصٍ مسيحي ((وقبل أن يمدوا أيديهم لطعام الغداء، قلت فجأةً وأنا أشبك يدي مجدداً، وألصقهما بجيبي: ياربنا أنت المنبع الدائم لجميع الخيرات إليك نتوسلُ بأن تبارك وتقدّس لنا هذا الطعام الذي نستلمه من وجودك لكي نستعمل مأكلنا بتعقل كما أنت تتوقع ذلك منا. ساعدنا لنعترف بك دوماً كالأب السماوي صانع كل الخيرات وأن نطلب قبل كل شيء الغداء الروحي الكائن في كلمته المقدسة لكي تتغذى أرواحنا أبدياً بيسوع المسيح مخلصنا. آمين)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٧٤).

وفي كل مرة من المرات يتعامل أهل(جابر) معه على أنّه ملبوس بالجن، وهم يعلمونه كلّ هذه الأشياء، لذلك يلجؤون إلى الرقية الشرعية.

وقد يكون تركيز الكاتب على هذا الجانب، وإبرازه، دليلٌ على أنّ كلّ مَن جاء إلى العراق، وحتى كلّ مَن فيه، يفرض أفكاره وثقافته على هذا البلد، وينقل إلى العراق تجاربه ومعلوماته كما تنقل ذكريات الشخص المتبرع إلى جابر.

وعلى الرغم مِن عدم ممانعة جسد جابرلتقبّل دم أيّ شخص إلّا أنّه يحبُّ دم الطيبين في إشارة إلى أنّ العراق يحبّ الطيبة والطهارة ((تمنيتُ لو أنّ بيدي اختيارالمتبرع بالدّم. كنتُ سأختارُ أمّي وأناساً طيبين أرواحهم نقية ومليئة بالبياض)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٤٤).

وحين حلّ دم فتاة جميلة اسمها (ليان) في جسد(جابر) وانتقلت ذكرياتها إليه تحوّل (جابر) إلى عاشق لهذهِ الفتاة، وهذهِ إشارة مِن الكاتب إلى أنّ العراق، مهما تكون فيه الحروب، وتدوم مشكلاته، إلّا أنّه يميل إلى المحبة والمودة والسلام.

وقد تعجّب الكاتب مِن بقاء حكومة العراق لمدة أطول مِن توقعات الخبراء والمختصين، وأعرب عن ذلك على لسان جابر ((تأخّر موتي كثيراً. تجاوز أسقف توقعات الأطباء ومديات الأدعية الموجهة إلى الله ليطيل عمري. فمنحتُ رغماً عن وجعي فائضاً عمرياً جعلني في عيون الناس معجزة تمشي على قدمين هزيلتين)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٣٩). كأن الكاتب يريد أن يقول أنّ هذا البلد تحمّل أكثر مما كان يتوقعه الخبراء، وأنّه صامد في وجه الفساد والاحتلال والدمار الذي حل فيه.

وحين يئِس والدا جابر مِن الحصول على متبرع يطابق نخاعه نخاع جابر مائة بالمئة، قررا إنجاب طفل آخر،عله يكون سبباً في شفاء جابر ويكون نخاعه مطابقاً لنخاع جابر،وهذا تأكيد مِن الكاتب أن نجاة العراق من هذه الأزمات والأمراض لاتكون بيد أشخاص خارج العراق، بل يجب أن يكون المنقذ من هذا البلد، وليس مِن بلدان أخرى.

المحور الثاني: الشخصية المباشرة

ونجد مقابل هذهِ الشخصيات الرمزية شخصيات مباشرة في الروايات ، من هذهِ الشخصيات شخصية الرحالة النرويجي الشهير(ثور هايردال) في رواية (مستر نورگه) وهو أحد الشخصيات الثانوية في الرواية، فقد جاء إلى العراق لبناء قارب دجلة كرحلة أخيرة في حياته،وقد ذُكِرتْ في الرواية رحلاته السابقة، وانجازاته ((روى له قصصاً أطلقها من سجن ذاكرته، ولاحقها منصور ببندقية لسانه،عن أسفار ومغامرات كثيرة ، ومنها رحلاته الأبرز الثلاث، أولاها كون –

تيكي، بطوف صنع مِن خشب البلسا، أبحر به مع ستة رجال وببغاء، من كالاو في بيرو، نحو بولونيميا... وحصل فلمه الوثائقي الذي استخدم فيه مقاطع فيديومن الرحلة على جائزة الأوسكارسنة ١٩٥١. ورحلة رع١ نسبة إلى إله الشمس الفرعوني ...مع سبعة مغامرين آخرين مِن مختلف البلدان، قطعوا على مدى شهرين خمسة آلاف كيلومتر... ولأنّ المغامرة كتب لها الفشل ولم تبلغ مقاصدها، قرَرَ إعادتها في الوقت نفسه مِن العام التالي وأطلق عليها رع٢)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٩٥،٩٦).

وكان لهذهِ الشخصية دورٌ فاعلٌ في الرواية حين التقى بشخصية نورگه، حيث ذكرجوانب التشابه بين نورگه والكاتب المسرحي الكبير النرويجي(هنريك إبسن)، وكان هذا سبباً في زرع فكرة لدى نورگه، وهي انتماؤه لعائلة إبسن، وتكوّن بذلك لدى نورگه اعتقادٌ صار يدور في فكره ويعمل مِن أجله طيلة حياته، وهو اعتقاده بأنّ جده هو(هنريك إبسن) ((وفي تلك الأثناء خطر في بالهِ الأمر. تمعّن في وجه نورگه وقال بالاندهاش نفسه الذي يبديه أمام قطعة أثرية يعثر عليها في واحدة مِن جولاته الاستكشافية:

أنت تشبهه تماماً!

سألهُ منصور وهو يدقّق في وجه نورگه جيداً:

يشبه من؟

اللعنة كيف فاتني هذا

فكّر قليلاً وعاد ليقول ووجه منصور قريب منه في محاولة لالتقاط مفردة صالحة للترجمة:

ليس مئة في المئة بالطبع، لكن هناك تطابق في جوانب كثيرة. يا إلهي، أنتَ أيضاً لاتبتسم، ولا تتحدث كثيراً، وَوالدتك كانت تحب اللعب بالدمى، و والدك أفلس، وانتقلتم لمنزل آخر، وتقاربكما أنت وشقيقتك...

شدّ المترجم مِن مرفقهِ وقال بتأثرٍ شديد:

نافع يشبهه حقاً

فهمت، ولكن يشبه من؟

هنريك إبسن!)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٠١،١٠٢).

وفي رسالته التي أرسله إلى نورگه بعد اكتمال قارب دجلة، وبدءِ تحركه، أبرز هايردال تشبيهات أخرى بين نورگه وهنريك إبسن،ليترسّخ بذلك الأعتقاد بأن أصله نرويجي وأنّ هنريك إبسن هو جده((لا أعرف لم أصر على الشبه بين ماتخوضه الآن وطفولة إبسن. فالمسافة بين زمنيكما واسعة، والاختلاف بين عصريكما كبير. لكن ثمة تطابق غريب في بعض التفاصيل الدقيقة. كطريقة إعلانكما الصامت للرفض، وتعثر الأسرة الاقتصادي، وطبيعة العلاقات فيها. وبيني وبينك فإنّ هنالك مَن يقول بأن والده كذلك كان يشكّ بأنّه ليس مِن صلبه)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١١٢).

فعلى الرغم مِن ثانوية هذه الشخصية وقلة تواجده في الرواية، إلاّ أنّ له دور فعّال، فمن خلال آرائه القليلة غير حياة الشخصية الرئيسة(نافع) رأساً على عقب.

ومن الشخصيات المباشرة شخصية(ثائرإبراهيم) في رواية(ديسفيرال)، وهي شخصية ثانوية، ولكّنها ذات فاعلية في استمرار أحداث الرواية، هذهِ الشخصية تشبه حالتها حالة شخصية(سليم)، في أنّ كلا الرجلين لهما طفلٌ مصاب بالثلاسيميا، وقد تعارفا في المستشفى، ثائر له فضل كبيرفي استعادة الأمل للعوائل التي لديها أطفال مصابون بالثلاسيميا، لأّنه قام بتأسيس جمعية ثلاسيميا مع صديق له في الموصل، وجمع التبرعات والمساعدات لهذهِ العوائل((كانت تلك بذرةُ أملٍ سرعان ما كبُرت نبتتها بتوافقنا أنا وصديق لي هو والد مريض أيضاً على تأسيس جمعية للثلاسيميا. وبعد فترة وجيزة إلتحق بنا (٤٥٠) مِن أولياء أمورمرضى آخرين،شكّلوا الهيأة العامة وتمكنّا مِن تحقيق الكثير خلال فترة قياسية. حصلن على مقر للجمعية وجمعنا تبرعاتٍ كثيرة لمساعدة المحتاجين بتوفير الدواء والتبرع لهم بالدم. خاطبنا جهات دولية وحصلنا على مِنح علاجية مِن إيطاليا كبادرة حسن نية تمهيداً لاتفاقيات مستقبلية بين المستشفيات هناك والمؤسسات الصحية العراقية)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٨٢،٨٣).

وفي الحوار الذي دار بينه وبين سليم في لقائهما الأول في المستشفى عرّفه بنفسهِ ومنصبه، ودورالجمعيه في مساعدة المرضى في إجراء عملية زرع النخاع،وتعافيهم مِن المرض بشكلٍ نهائي((لكنّ الرجل اقترب بهدوء ومد له يده:

ثائر إبراهيم رئيس جمعية الثلاسيميا.

ثمّ تابع وهو يضغطُ بقوة على يد سليم:

أصبحتُ كذلك في الانتخابات الأخيرة التي جرت قبل أيام. قبلها كنت نائباً للرئيس.

لم تسجله لدينا في الجمعية؟ سأل مشيراً لجابر. فرد سليم ويده على جيبه الصدري للتأكد مِن وجود قطعة السواك:

لستُ بحاجة إلى مساعدة مالية مِن أية جهة.

مساعدة المرضى الفقراء وهم الأغلبية بطبيعة الحال جزء من عملنا. لكن ليس هذا كل شيء. لدينا مهام أخرى كثيرة لاتتعلق بالمال.

عاد ليجلس على طرف سرير ابنته. وضع يديه على ركبتيه وتابع يقول:

نطالب الجهات المختصة بتوفير خدمات صحية أفضل لمرضى الثلاسيميا. وإيجاد برنامج للوقاية، مثل الفحص قبل الزواج. نشن حملات إعلامية للتوعية مِن المرض، ونعمل على تطوير عمل بنك الدم وتشجيع المجتمع على التبرع. وبدأنا مايمكن أن تسميه حلم الأهالي الكبير.

انتظر قليلاً حتى يرى تأثير ماقاله في سليم الذي كان قد بدأ يستمع باهتمام:

أن نرسل عدداً مِن المرضى إلى أوروبا لإجراء عملية زراعة نخاع العظم وبأسرع وقت ممكن.

هل يمكن هذا؟ سأله سليم.

حصلنا على منحة مِن مؤسسة اسمها(آي أم إي) لإرسال ستة مرضى إلى إيطاليا لإجراء عمليات زراعة نخاع العظم)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٧٨،٧٧).

هذا الحوار كان مفتاح الأمل لدى سليم وفتح له آفاقاً جديدة بعدما كان يظن أن علاج ابنه مِن المستحيلات، وأصبح ينصت لثائر ويسأله عمّا يجب القيام به((سأفعل أي شيء لكن كيف؟

الخطوة الأولى أن تملأ استمارات في الجمعية تدون فيها المعلومات الخاصة بابنك. الأعضاء أولياء أمور لمصابين بالمرض أيضاً، وقد تحصل منهم على نصيحة أو معلومة مفيدة. وإذا وجدت متبرعاً ستكون لديك أسبقية في الحصول على واحدة من المنح التي تقدمها جهات إيطاليا وستساعدك الجمعية في تغطية النفقات إذا لزم الأمر.)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٨٠،٧٩).

وكان لثائرتأثيركبيرفي سليم للبحث عن المتبرعين، وتشجيعه وعدم اليأس، بل اختار له حلاً آخر بدل البحث عن المتبرعين خارج بيته، حين اقترح عليه فكرة انجاب طفلٍ آخر((الحل بيديك أنت وليس بأيدي جميع مَن طلبت مساعدتهم.

كيف؟ سأله سليم وكفه ملصقٌ بجبهته.

...

ثمّ سأله وهو يُطبق كفاً بكف:

هل فكرت بإنجاب طفل آخر)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٠٥).

وكان لثائر دورٌ أيضاً في عقد اتفاقيات مع منظمات ومستشفيات إيطالية، وأيضاً في إصدار قرارات مِن الحكومة العراقية لمصلحة المرضى المصابين بالثلاسيميا، وحين أجريت لإبنته المصابة بالثلاسيميا عملية زرع النخاع في إيطاليا، لم يترك منصبه في الجمعية، بل قرر تسخير بقية عمره من أجل خدمة هذهِ الفئة((وكانت بينهم مريم التي أجريت لها عملية زرع النخاع في مستشفى مدينة بيزارو. فقرر والدها تعبيراً عن امتنانه، تسخير ماتبقى من عمره في خدمة مرضى الثلاسيميا وتوفير الدعم اللازم لهم)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٠٣)

وأخيراً كان هذا الرجل سبباً في حصول عائلة سليم على فرصة إجراء العملية لجابر في إيطاليا، على الرغم من عدم إجرائها بسبب خلل في الفحص الذي أجراه سليم لإبنه في العراق، وعدم تطابق نخاع إيثار مع نخاع شقيقه جابر مئة في المئة.

المبحث الثالث

الشخصية الواقعية والشخصيةالوهمية

المحور الأول: الشخصية الواقعية

المقصود بالشخصية الواقعية هي تلك الشخصيات الروائية التي لها بذور واقعية أو التي لها نظائر في واقع الحياة ، وليست شخصية حقيقية،((فالرواية ليست حياة حقيقية بل حياة نصية توازيها وتمثلها، وبالتالي فإنّ الواقع يشكل المصدر الأكبر لالتقاط الشخصيات الروائية... حيث يمكن مزج شخصيتين مِن الواقع أو تركيب أكثر مِن نموذج داخل بوتقة فنية صاهرة)) (العباس، ٢٠١٦).

ونحن في هذا المبحث نقصد بالشخصية الواقعية إضافة إلى ما ذكرناه تلك الشخصيات التي تظهر للجميع، بخلاف الشخصية الوهمية التي تظهر فقط لدى شخصية معينة بدون أن يراها الآخرون، وإذا تصفحنا الروايات نجد أكثرالشخصيات تنتسب إلى الواقع، ولو اختلفت نسبة انتسابهم.

مِن الشخصيات الواقعية شخصية(واجدة) في رواية مستر نورگه، وهي الشقيقة الوحيدة للشخصية الرئيسة(نافع) نورگه، وهي بنت (غانم القصاب) و(محاسن وحيد)، الشخصيتان اللتان جاء ذكرهما في الشخصية المتسلطة والشخصية الخاضعة.

وهي ضحّت بكل شيء مِن أجل اعتنائها بشقيقها، فمنذ أن عرفت أن شقيقها أصيب بمرض شيزوفرينيا أصبحت كالظل لشقيقها من أجل مساعدته في تعافيه مِن هذا المرض، واستعادته لحياته الطبيعية، فحين أخبرها الطبيب أنّ نافع (نورگه) أصيب بالمرض، وأنّه يحتاج إلى رعاية، ومساعدة طويلة حتى يستعيد عافيته، بدأت واجدة مع أمها بالتركيز على حياة نافع، ونسيان حياتهما، خاصةً

واجدة حيث أهملت حياتها الخاصة مِن أجل تعافي شقيقها مِن المرض، بدأها بوضع شروط كثيرة ومعقدة لمن يريد الزواج بها((ولطالما أحست واجدة بما يدور في خلد أمها ووضعت تماشياً معه، لكن دونما مكاشفة، سقف شروط أعلى بكثيرمما كانت تطمح توافره في فارس أحلامها: أريده وسيماً، طويلاً، بأنفٍ صغيروشعر ذهبي وعينين واسعتين، ثرياً، حاصلاً على شهادة عليا. يشتري لي بيتاً في واحدة من مناطق بغداد الراقية، مع خدم وطباخ وسائق ورصيد مريح في البنك، وأساور وقلائد وخلاخل وخواتم ذهب)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٢).

بهذه الشروط التعجيزية أبعدت أعين الخطباء والطامعين في الزواج بها،بغية مساعدة أمها في محاولتهما لاستعادة نافع عافيته((جعلت واجدة في غضون فترة قياسية، أكثرعروسٍ يتجنبها العرسان في بغداد بأسره)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٣).

وبعد التخلّي عن حلمها بأن تكون ربّة بيت، كرّست بقية حياتها في خدمة شقيقها. وحين أصرّ نورگه على ضرورة الذهاب إلى النرويج لإثبات أصله، حاولت أمه مع واجدة منعه بأي طريقة، لذلك أُسندتْ لواجدة مهمة متابعة نورگه مِن قبل أمها، خوفاً مِن اختفائه يوماً ما، وذهابهِ إلى نرويج، هذا ماذكره الراوي العليم في هذا المقطع((وأسندت مهمة ملازمته الخارجية إلى واجدة لتصبح ظلاً له في تجواله اليومي مشياً على الأقدام، رافقته إلى دائرة البريد ومكتبات شارع المتنبي ومسارح المدينة ومحال بيع الأنتيكات واللوحات الفنية، وعادت معه في كلّ مرة برجلين متورمتين لتقدّم تقريراً مفصلاً عن مشاهداتها لأمها ومن ثم تحليل النتائج معها، التي أظهرت لهما وبمرور الأيام والأشهر أنّه يبتعد بقارب ذهنه عن ضفة الواقع)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٠٨).

وسلكت واجدة فيما بعد طرقاً عديدة لإبقاء شقيقها تحت أنظارها أكثر وقتٍ ممكن((رفعت واجدة مِن مستوى مهامها لصالح نورگه إلى درجة سكرتيرة، مجددة الخطط الهادفة إلى إبقائه ضمن نطاق الرصد، بحسب اتفاقها مع والدتها، لتكونا على اطّلاعٍ دائم بتحركاته ومعرفة نواياه بدلاً مِن تكهنها)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٢٣١).

وأصبحت مهمة واجدة أكثر صعوبة بعد وفاة والدتها، ووصيتها لها بأن تمنعها من الذهاب إلى نرويج((عديني أنك ستمنعينه مِن القيام بذلك، وستكونين له أمّاً حنوناً وصديقة ومساعدة في شؤونه كلّها، لكي يجد طريق خلاصه مِن هذا المرض الذي لايسمى)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٠).

بعد وفاة والدتها أصبحت واجدة وحيدة، ولكنّها ظلتْ مصرة على تنفيذ وصية أمها، ومساعدة شقيقها، ولم تستسلم لفترة طويلة((وتكفّلت بالمسؤولية الأهم وهي منع نورگه من تنفيذ مخطط الرحيل وفي الوقت نفسه الالتزام بنهج مسايرته تنفيذاً لوصية والدتها الأخيرة ووجب عليها في سبيل إبقاء حالته المزاجية مستقرة، تجنيبه التعرض لضغوط نفسية وكش ذباب المشاكل من حوله، بحسب قائمة تعليمات الأطباء النفسيين واجبة الإتباع)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٤٧).

وظلّت تقوم بكل شيء مِن أجل شقيقها، لكنها استسلمت في النهاية بعد كبر سنها، لأنها لم تقدر لى مجاراة شقيقها، ففي يوم احتفالهما بعيد الوطني النرويجي قالت((أنا عبارة عن جثةٍ بلغت الثامنة والخمسين وآلام مفاصل رجلي تضرب دماغي. لا أستطيع القيام بهذين الأمرين، المشي وتذكر باقي كلمات نشيدك)) (شمدين ،٢٠٢١، صفحة ١١).

وترضخّت للواقع في نهاية الأمر حين قالت:((فات العمر وأنا أنتظر ذلك الصباح الذي أستقيظ فيه وأجدك قد تخلّصت من مرضك اللعين هذا. لقد فعلتُ كلّ ما قاله الأطباء عديمو الجدوى وسايرتك آملة في وصولك إلى طريق مسدود، لتصحو وتعود إلى معافى مِن جني إبسن الذي يتلبسك)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٤)، وقالت أيضاً ((لقد انتهى الأمر يانافع، عليك الاعتماد على نفسك منذ هذه اللحظة، لن أشترك معك بعد الآن فيما تفعله بنفسك وبي. تريد أن تسافر هيا اذهب ماذا تنتظر)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٥).

مثال هذه المرأة التي قدّمت كل شيء مِن أجل شقيقها، وضحّت بحياتها موجودة في واقع الحياة خاصة في بلادنا، وكلّنا سمعنا أو شاهدنا كثيرات تركن عيشهن، وحياتهن الخاصة من أجل شخصٍ عزيز كالوالدين، أو الشقيق، او الشقيقة...

ومن الشخصيات الواقعية شخصية(زاهدة) في رواية ديسفيرال، وهي إحدى الشخصيات الرئيسة الثلاث في الرواية، زاهدة التي زهدت بكل شيء مِن أجل ابنها المريض(جابر)، وقدّمت كلّ ما بوسعها، وكلّ ما كانت تملك مِن أجل الاعتناء بجابر، فمنذ أن علمت بمرض ابنها عاشت حياةً كلّها قلق وألم، وسهرت كثيرا مِن أجل ولدها ((ولهذا أصبح النوم لساعتين متتاليين حلماً بالنسبة لي. صحيح أنّني لم أكن أنام بشكلٍ متواصل منذ أن ألمَ بصغيري المرض. لكن بدءاً من تلك الأيام تعيّن عليّ مراقبتهما هو ومضخة ديسفيرال، فصار القلق يوقظني في الساعة الواحدة مرات ومرات)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ٦٦)، كانت هذهِ حالها في البيت، وكان قبلها جالت معه مستشفيات، وبقيت معه، وتعلّمَت كيفية الاعتناء بالمرضى المصابين بثلاسيميا، وليس هذا فحسب بل رضيت بانجاب طفلٍ آخر مِن أجل عملية زرع النخاع لابنها على الرغم من بلوغها الخامسة والأربعين من العمر، وعلى الرغم مِن معرفتها ما إذا كان الطفل الجديد سيكون من المصابين بالثلاسيميا، وعندئذٍ ستضيف ألماً آخر وقلقاً مضاعفاً على نفسها ((ولأنّ أم المريض لديها أملٌ دائم بشفائه، قبلت بالأمر حالمةً بولدٍ أو بنتٍ تكون أو يكون سبباً في استعادة ابني بمنحه نخاع العظم، وإجراء علمية زرعه في ايطاليا)) (شمدين، ٢٠١٩، صفحة ١٢٠).

وبعد ولادة ابنها الثاني عاشت حياة كلها قلق وانتظار خوفاً من اصابته بمرض ثلاسيميا أيضاً، حتى بلغ الطفل شهره الثامن، وأثبتت الفحوصات أنّه سليم وليس مريضا.

شخصية زاهدة، وشخصية واجدة متشابهتان تماماً في الواقعية، وفي التضحية بكلِ ماهوغالٍ ونفيس من أجل شخصٍ آخر، الأولى من أجل ابنها المريض، والثانية من أجل شقيقها المريض، ومثالهما في واقع الحياة موجود.

المحور الثاني: الشخصية الوهمية

في مقابل الشخصيات الواقعية نجد في رواية(مسترنورگه) شخصيتين وهميتين، هما شخصية(فاضل)، وشخصية(هشام)،هاتان الشخصيتان هما الصديقان الوحيدان لبطل الرواية(نورگه).

تعرّف نورگه على (فاضل) في المكتبة العامة، وكان فاضل موظفاً في الدوام المسائي، فحين وطأت قدما نورگه لأولِ مرة المكتبة العامة، وطلب كُتباً عن هنريك إبسن، صادف(فاضل)، وفي البداية شعر فاضل أنّ نورگه طلب كتاباً خاطئاً لايناسب عمره، وأراد تصحيح الخطأ لنورگه، وقال له ((إذا أردت قصص سوبرمان المصورة ومجلتي والمزمار، سأدلك على المكان، فالكتب التي هنا لاتناسب عمرك)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ١٠٤)، وبعد اصرار نورگه على طلبه جاء (فاضل) بكتاب لهنريك إبسن، وقال ((هل يكلفونكم في المدرسة بكتابة البحوث مِن أول يوم؟)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٠٤).

وبإهمال نورگه له، وعدم إجابته على سؤاله، وانشغاله بالقراءة،شكرالموظف نفسه على سبيل معاتبة، وقال ((شكراً ياعم فاضل على المساعدة)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٠٤)، ومنذ ذلك الحين بدأت صداقة نورگه مع فاضل واستمرت طويلاً في الرواية.

كان لفاضل دور مهم في الرواية، وفي إبراز بعض الجوانب للشخصية الرئيسة (نورگه)، فهو الذي اكتشف قدرة نورگه(نافع) على حفظ أي كتاب بمجرد قراءة واحدة له بنقاطه، وفوارزه ((أشاع فاضل في الوسطين الثقافي والعلمي، خبر ظهور فتىً خارق يخزن في دماغه مثل آلة سحرية أي شيء مكتوب تقع عليه عينه وبأي لغة كانت، ويتذكّر كلّ حرف وحركة وبوسعه ترديدهما شفاهة أو كتابة)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٢١)، وأقام لنورگه عرضاً يومياً دعا فيه الكتاب، والمثقفين، والمهتمين برؤية العجائب، فكان هو السائل، ونورگه المجيب فيدور بينهما هذا الحوار في كل مرة((هل تريد أن تقنعني يا ولد، بأنّك قرأت هذا الكتاب كلّه خلال وجودك هذا اليوم في المكتبة؟

يردد نورگه مثل جندي في حصة تدريبية:

نعم فعلت ذلك.

يبلع فاضل ريقه ويسأل بحماسة رافعاً صوته ليسمع الجمهور:

وهل ستعرف ما هو مكتوب في أي صفحة من صفحاته؟

يومىء نورگه برأسه. وتمضي دقيقتان يستغرقهما فاضل في تقليب الصفحات، يغمض عينيه ولا يفتحهما إلّا وقد استقرّ على صفحة ما ووضع إصبعه على مقطع فيها: يسألُ محدداً رقمها وموضع السطر. يجيب نورگه بسلاسة من دون خطأ يذكر. يضج المكان بالتصفيق)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٢٢).

فاضل هو الشخص الذي سمى نافع بنورگه حين قال في نهاية عرضٍ من العروض التي أقامها له((أعزائي الكرام، كان معكم الفتى المعجزة، نورگه)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٢٤). ومنذ ذلك الحين حمل هذا الاسم ونسي الناس اسمه الحيقي.

وبعد هذا توطدت العلاقة بين نورگه وفاضل، وأخبره فاضل بكل أسرارحياته، وكثرت اللقاءات بينهما خارج المكتبة العامة، ولا يشعر القاريء وحتى أمه وشقيقته بوهمية هذهِ الشخصية إلّا في الصفحات الأخيرة مِن الرواية حين تبحث واجدة شقيقة نورگه عن الصديقيين الوحيدين لشقيقها نورگه، وأولهما فاضل حين أكّد له مدير المكتبة في الحوارالذي دار بينهما، عدم وجود موظف بهذا الاسم، وتحدث شقيقه نورگه مع الفراغ المحيط به((أستطيع أن أؤكد لك واستناداً إلى عمري الوظيفي هنا والممتد لتسع وثلاثين سنة وثمانية أشهر وبضعة أيام، أربع وعشرون سنة منها مديراً، أنّني لم أسمع بوجود موظف ضمن ملاك المكتبة العامة اسمه فاضل... هذا يعني ... كل هذهِ السنين، لم يكن هناك شخص اسمه فاضل؟

أجابها بنبرة التعاطف: لا أعرف إن كان لما سأقوله علاقة بهذا أم لا، في تلك الفترة، أقصد التي كنت أعمل فيها بالدوام المسائي في قسم الإعارة وحتى بعدها بسنوات، لاحظتُ بأنّه يكلّمُ أحداً ما، مع أنّه كان لوحده في قاعة المطالعة، ونادراً ما تواجد مطالعون غيره، لستُ الوحيد الذي شاهده يفعل ذلك، بل آخرون أيضاً، زملاء موظفون أو زائرون على قلة أعدادهم)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٢٩٢،٢٩٣،٢٩٤).

والغريب في الأمر أنّ لهذهِ الشخصية الوهمية صديقان وهميان أيضاً، أولهما (مجد) ((غير أنّني لم أبقَ وحيداً فلقد اخترت لنفسي رفيقاً. التفت برأسه ناحية اليمين وأراح خدّه على يديه المشبوكتين ثم قال بحنان: اسمه مجد، أنا أطلقت عليه

هذا الاسم ولا تسأل لماذا؟، لقد خطر في بالي هكذا، لاأعرف كيف وهوأحبّه كثيراً. أجده بقربي أينما ذهبت ولا يملّ من سماعي مطلقاً حتى وإن تحدّثتُ إليه نهاراً بطولهِ، وكثيراً ما فعلت ذلك لو أردت الحقيقة... لم يكن مجد من تلاميذ المدرسة ولا من حيّنا بل هو ليس حتى من بغداد. إنّه ملاك أرسله الله من بعيد لكي ينقذني من غربتي)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ١٥٢،١٥٣).

وثانيهما اسمه(غيث) ((وسارت الأمورعلى ذلك النحو لغاية فجر اليوم الثالث ، وقبل ساعات من إحالتي إلى التحقيق، إذ تعرفت على رفيقي الثاني. تطلّع بزهو إلى جهة اليسار، حيث الممر بين الطاولات. اسمه غيث، أنا اخترتُ له الاسم، هو بعمري، أي كان بعمري وبقي على حاله بخلافي. لم يكن موقوفاً ولا شرطياً. بل هو مثل مجد، ملاكٌ مرسل لمساندتي)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٥٧).

وبالرغم للوجود الحيقي لشخصية فاضل في الواقع خارج الرواية حيث للروائي معرفة خاصة به إلّا أنّه أفاد من هذهِ الشخصية ووظفها داخل الرواية توظيفاً خاصاً إذ أعطاها بعداً وهمياً حيث لا وجود لها إلا في توهمات وتخييلات نورگه، ومن هذا المنطلق تعدّ شخصية وهمية، ويشير الكاتب في إحدى حواراته وجود هذهِ الشخصية في واقع حياته((فاضل شخصية حقيقية، كان يعمل مناولاً للكتب في الدوام المسائي بالمكتبة المركزية العامة بمدينة موصل مطلع التسعينيات القرن المنصرم، كنا نظل أحياناً بمفردنا، هو مع عوالمه وحديثه غير المنتهي مع أشباحه وأنا مع الكتب التي أقرأها بنهم)) (عادل، ٢٠٢٢).

وكما ذكرنا هناك شخصية وهمية ثانية في الرواية نفسها، وهي شخصية (هشام) تعرّف عليه نورگه سنة ١٩٨٥ في شارع المتنبي، حين سمع نورگه لأول مرة شخصاً يتحدث النرويجية في بغداد. عرّفه بنفسه((وأنا هشام، مهاجر متقاعد بلغتُ السابعة والسبعين منذ فترة وجيزة، رجعتُ إلى البلاد لأقضي أيامي الأخيرة على هذا الكرسي، الذي تراني فوقه)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٩٠).

وقد أدّى هذا الشخص الوهمي دوراً بارزاً في الرواية، ولأنّه كان مهاجراً عاش في نرويج بسبب زوجته هايدي، فقد أطلع نورگه على معلومات كثيرة عن بلد النرويج، تأريخه، ومساحته، وطقسه، وطبيعة أهله... يقول عن طبيعة

النرويجيين((النرويجيون كما أخبرتني هايدي قبل انتقالنا للعيش في بلادها، ولمستُ هذا بنفسي بعد ذلك، مثل ترمس الشاي أو القهوة، باردون من الخارج، لكنّهم دافئون جداً من الداخل. وهم كذلك بالفعل، لايسلمون قلوبهم بسهولة كما نفعل نحن)) (شمدين،٢٠٢١، صفحة ٢٠٠).

والنصيب الأكبر من معلومات هشام كان عن الشاعر والكاتب المسرحي(هنريك إبسن) الذي يعدّه نورگه جَدّاً له، حيث تحدّث عن حياته، وأعماله، ومؤلفاته، بشكلٍ كامل، ودقيق، فأكثرية المعلومات الواردة عن إبسن كانت عن طريق هذهِ الشخصية، يقول عن إبسن، وعن مصدر معلوماته حول هذهِ الشخصية((النرويجيون يعتزّون بهِ كثيراً، ويعدّونه رمزاً وطنياً، وستجد إذا ذهبت إلى هناك أنّ اسمه في كلّ مكان له علاقة بالثقافة، مسارح، مكتبات، متاحف، قاعات عرض، وتماثيله في الساحات العامة والمتنزهات، معرفتي عن حياته وكل هذهِ الكتب، بسبب عمل هايدي أستاذة مسرح في جامعة أوسلو)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ١٩٨،١٩٩).

وأصبح هشام وفاضل أيضاً، كمرشدين لحياة نورگه يشاورهما في كلّ أموره خاصةً مسألة ذهابه إلى نرويج وإثبات نرويجيته، فكان يقضي معهما أوقاتاً كثيرة.

وهشام مثله مثل فاضل في الرواية لايعرف أحد بوهميته حتى الصفحات الأخيرة من الرواية، لِحين بحث واجدة عن منزله الذي وصفه لها نورگه من قبل، حين قابلت مختار المنطقة، وأخبرها بأنّ((هنالك أربعة عشر شخصاً أحياء يحملون اسم هشام في المنطقة، ثلاثة منهم أطفال. والبقية طالب جامعي وجزار ومعلم متقاعد يدير محل بقالة، وممرض، وتاجردواجن، وموظف في أمانة بغداد، وشرطي مرور ومصلح ثلاجات، وصاحب مكتب نقل ومساح أراض وميكانيكي. كلّهم أصحاء ويمشون على أقدامهم، وأخبرها بأنّه عرف أربعة آخرين حملوا هذا الاسم وتوفوا خلال السنوات الأخيرة، ولم يكن أي منهم مقعداً)) (شمدين، ٢٠٢١، صفحة ٣٠٤).

ومن الجدير بالذكر أنّ هاتين الشخصيتين على الرغم من ثانويتهما وأنّهما وهميتان إلّا أنّهما تؤديان دوراً بارزاً في سيرورة الأحداث، وربط بعضها ببعض،

وتؤديان دور الشخصية المساعدة للشخصية الرئيسة، وكذلك بالرغم من وهميتهما إلّا أنّهما يحملان صفات طبيعية، وواقعية.

النتائج

في نهاية البحث، هذهِ هي أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- بيّن الروائي عن طريق شخصياته مايدور في المجتمع العراقي، من الجهل والتخلّف، وما يعانيه الفرد العراقي اجتماعياً.

- من خلال شخصياته الرمزية، أراد الكاتب تصوير الوضع السياسي في العراق، وما يدور فيه من صراع بين الطائفتين الدينيتين من أجل الوصول إلى السلطة، وأوضح أن العراق لايمكن تدبير أموره بمفرده، فهو كشخصٍ مريض لايمكنه العيش حالياً بدون مساعدة الآخرين.

- وثّق الروائي عن طريق شخصياته الأحداث التي مرّ بها العراق عامة، والموصل خاصة، خلال فترة داعش.

- يعاني الفرد العراقي من أمراض، واضطرابات نفسية، وهذا ماركّز عليه نوزت شمدين عن طريق شخصياته.

- بينت روايات شمدين مدى تضحية المرأة العراقية بأغلى ما لديها من أجل شخصٍ عزيز على قلبها، وهذا ما عبّر عنه الكاتب في رواياته عن طريق شخصيّتي (واجدة وزاهدة).

- تعكس بعض الشخصيات الموجودة في الروايات جوانب كثيرة من حياة الكاتب نوزت شمدين.

المصادر والمراجع

الكتب

- بحراوي، حسن(1990) ، *بنية الشكل الروائي(الفضاء - الزمن - الشخصية)*،الطبعة الأولى ، بيروت،المركز الثقافي العربي.
- برنس،جيرالد(2003) ،(معجم *السرديات*)،ترجمة:السيد إمام، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
- بوتور،ميشال(1982) ، *بحوث في الرواية الجديدة* ،الطبعة الثانية ،ترجمة:فريد أنطونيوس بيروت: منشورات عويدات.
- بوعزة، محمد(2010) ، *تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم* ،الطبعة الأولى ، بيروت لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- شمدين،نوزت
- (2017)، *شظايا فيروز*، بيروت ، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (2019)، *ديسفيرال* ،الطبعة الأولى ،بغداد، دار السطور للنشر والتوزيع.
- (2021) .*مستر نورگه النسخة العراقية مِن هنريك إبسن* ،الطبعة الأولى، بيروت ، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مرتاض،عبدالملك
- (١٩٩٠)،القصة الجزائرية المعاصرة،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب
- (1998)، *في نظرية الرواية بحث في تقنيات السر* .عالم المعرفة.

- هلال،محمد غنيمي(1997) ، *النقد الأدبي الحديث*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

- وهبة وكامل، مجدي، مهندس(1984) ، *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب* ،الطبعة الثانية، بيروت،مكتبة لبنان.

- ياسين, باقر(2010) ، *شخصية الفرد العراقي ثلاث صفات سلبية خطيرة(التناقض. التسلط . الدموية*)،الطبعة الأولى ،أربيل ، إقليم كردستان العراق، دار آراس للطباعة والنشر.

الرسائل والأطاريح الجامعية

- الدعمي، رياض حسن هادي(2017) ، *بناءالشخصية في روايات ميسون هادي - ماجستير* .جامعة القادسية.

- مزورع،نزيهة(2021) ، *الرمز في روايات إبراهيم درغوثي - دراسة في التشكيل والتأويل- ،دكتوراه*، جامعة محمد خيضر-بسكرة- الجزائر.

الأنترنيت

- العباس،محمد (٢٠١٦/٤/٢٨)، *الشخصية ومحلها في الرواية*،موقع الثقافاتhttp://thaqafat. Com

- عادل،سماح (٢٠٢٢/١/٨)، *حوار مع نوزت شمدين*،موقع كتابات http://kitabat.com. يزن،يزن(٢٠٢١/٣/٢٢)، *ديسفيرال... وجع داخل وجع... رواية للروائي العراقي نوزت شمدين* .وكالة صدى الصحافة http://sada-press.com.

- النعيمي،انتصار(13 4 ,2022) ، *حوار مع المبدع نوزت شمدين*،موقع الشبكة مباشر

- https://alshabaka-mubashbr.com

Summary

This research aims to focus light on an important element of the narrative text,

which is (personality) in the works of The Iraqi Kurdish writer (Nawzad Shamdin),

showing the types of characters, and how they were derived from the reality of Iraq

in the midst of intellectual, social, and political struggles. Through these narrative

techniques, he interrogates these diverse paradigms of personalities and through

them; he broadcasts his impressions and ideas about the events in the reality of

Iraqi society in our time.

This research contains a preface and three sections. In the introduction, we

explained the concept of personality and an overview of the writers life. In the first

section, we explained the authoritarian personality and the submissive personality.

In the second topic, we talked about the symbolic personality and the direct

personality. As for the third topic, we explained the real personality and the fictive

personality. In the conclusion part, we mentioned the most important findings of

the research.

پوختە

ئامانج لەم توێژینەوەیە بریتیە لە تیشک خستنە سەر یەکێك لە پێکهاتە گرنگەکانی کاری گێرانەوە، کەبریتی یە لە(کەسایەتی) لە رۆمانەکانی نوسەری کوردی عێراقی(نەوزەت شەمدین)،توێژینەوەکە جۆرەکانی کەسایەتی وچۆنیەتی وەرگرتنیان لە واقیعی عێراق لەبونی ململانێ لە بوارەکانی فیکری و کۆمەڵایەتی و سیاسی رووندەکاتەوە،وەلەرێگای شێواز وهونەرە کانی گێرانەوە ئەو نمونە جۆراوجۆرانەی کەسایەتی دەدوێنێت و لەرێگای ئەوانەوە کاریگەریەکانی و بیروبۆچونەکانی دەربارەی رووداوەکان لەواقیعی کۆمەلگای عێراقی لەم سەردەمەدا دەخاتە روو

ئەم توێژینەوەیە پێك دێت لە دەروازەیەك وسێ تەوەر، لەدەروازەکە باسی کەسایەتی و پوختەیەك لەژیانی نوسەر کراوە، لەتەوەری یەکەم کەسایەتی زاڵ وکەسایەتی ملکەچمان باس کردووە، ولەتەوەری دووەم باسی کەسایەتی رەمزی وکەسایەتی راستەوخۆمان کردووە،ولەتەوەری سێیەم باسی کەسایەتی واقعی وکەسایەتی وەهمی کراوە، لەکۆتایشدا باسی گرنگترین ئەو ئەنجامانە کراوە کەتوێژینەوەکە پێی گەیشتووە.